حلبجة جرح عراقي نازف

المقدمة

((قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ;وَيَسّرْ لي أَمْري; َواحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ;يَفْقَهُوا قَوْلِي)).

الخطاب أداة توصيل تتولى نقل المضامين الفكرية، والسياسية، والمشاعرية من المعطي (الخطيب) إلى المتلقي (المخاطَب)، وما من حركة سياسية، أو ثورة جماهيرية، أو دولة قوية إلا ولها خطيب يتولى طرح أهدافها، وتحديد آليات تحقيقها ويحذر من الأخطار المحدقة بها.
لحظة الخطاب هي لحظة الكلام التي تمنح المعطي قوة التأثير في المتلقي، ومَلَكة النفوذ إلى عمقه، ويشعر معها أنه بقدر ما ينطلق من عمقه كخطيب سينفذ إلى عمق المتلقي كمخاطَب، ولا يتأتّى له ذلك ما لم يتمتع بوعي مركب، وعي المبادئ التي يدعو لها.. الواقع الذي يحيط بشعبه.. المخاطر المحدقة به.. الطموحات التي يتطلع إلى تحقيقها، والبرامج التي تتكفل بإحداث النقلة النوعية المنشودة، وكذلك وعي البنيوية الخطابية التي تمتزج فيها مفردات اللغة بدقة المفاهيم، وصدق المشاعر باتجاه التقارب الجادّ لأحاسيس الناس.
العطاء والأخذ كمادة للتداول، والمعطي والمتلقي كأطراف للتداول، لا يُشكّل ذلك بقرار، أي حين يجالس الإنسان مَن هو أكثر منه ثقافة وأسبق تربية، لاشك أنه أمام واقع التلقي، إذ لا يوجد مُعطٍ مطلق ودائم ومُتلقٍ مطلق ودائم؛ لأننا لسنا معصومين أو ملائكة، إنما هي نسبية تحكم الطرفين..

هذه الخطب أفرزتها معاناة مستوحاة من عذابات إنسان العراق والعالم، وصاغتها طموحات الإنسان ذاته، وحددت اتجاهها إرادة الإنسان المعطي؛ لذا كانت مرتجلة دونما تحضير مسبق أو زخرفة متكلفة تظهر فيها الصنعة الكتابية وهذا هو ديدن الدكتور ابراهيم الجعفري في كل خطبه.

مؤسسة الكتاب الثقافية

حلبجة جرحا عراقيا نازف

بسم الله الرحمن الرحيم
السلام عليكم جميعاً ورحمة الله وبركاته..
قال الله (تبارك وتعالى)، في محكم كتابه العزيز:
((وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ)).

ثلاث أو أربع وعشرون سنة مضت على ملحمة حلبجة، هذه الأيام هي ذكرى تلك المأساة التي أبت إلا أن تكون معبراً تجارياً، ومعلماً حضارياً، إنها كانت محطة تجارية مهمة تربط جنوب العراق ووسطه بتركيا وأوروبا، وحلبجة التي كانت عصية على المحتلين من مختلف مناطق العالم حتى إن الإسكندر الكبير حينما نوى شن حرب على بلاد فارس تحاشى هذه الأرض العصية على العبور.. وحلبجة مدينة الشعر وعلم الكلام والتفسير.. حلبجة منها نشأ ى الشعراء (مولوي)، و(ناري)، و(حمدون)، و(كوران)، و(أحمد مختار الجاف)، والكثير من الشعراء.. هذه المنطقة كانت من أروع ما خلق الله (تبارك وتعالى)، من الجمال الخلاق جمعت بين وفرة المياه ونقاوتها، وجمال المنظر، وتصفيفة الجبال.

أهل حلبجة تميزوا عن البقية حيث عاشت ألفة بين أبناء الديانات، وشاعت بينهم علاقات الزواج والتعايش والتواشج على مر الزمن.. حلبجة منها المفكر الإسلامي الشيخ (أحمد كاكة محمود)، الذي كتب تفسيراً رائعاً ومتميزا للقرآن.. حلبجة شهدت كذلك من الناحية الكلامية أصحاب الطريقة للشيخ المفتي.

إن مدينة كمدينة حلبجة يفترض أن ننظر إليها بكل تقدير وإعجاب واعتزاز غير أننا - للأسف الشديد - عندما نحكم، ونعيش في ظل حكومات دكتاتورية يكون نصيب هذه المدينة المعطاء كثير من الألم.

حلبجة ليست قصة مدينة كردية أمام دكتاتور بقدر ما كانت تعبّر عن ملحمة إنسانية يقف فيها الإنسان بعمقه الحضاري، وامتداده الإنساني والمعرفي إزاء الدكتاتوريات، ويذكرنا عام 1988 بما جرى من المآسي التي حصلت في اليابان في ناكزاكي وهيروشيما، وكيف استخدمت القنبلة الذرية في ذلك الوقت، و- للأسف الشديد - أن نقف اليوم، ونبكي على أطلال حلبجة، ولا نفكر كيف ننطلق من حلبجة التاريخ؛ لنمنع حلبجة المستقبل، ونحن اليوم نعيش أكثر من حلبجة في أكثر من مدينة، وفي أكثر من بلد.

من يُرِد إن يفي لتلك النفوس الطاهرة عليه أن يمنع تكرار هذه المآسي، ونستمد من حلبجة فكراً خلاقاً وإرادة قوية وصلبة؛ فنواجه الدكتاتورية، أبت حلبجة إلا أن "تتكربل" فأصبحت كربلاء الثانية، وأبت إلا أن تمضي على طريق الإمام الحسين (عليه السلام)، فتذكرنا بتلك الملحمة الفذة في التاريخ؛ من هنا يجب أن نقف إزاء حلبجة بكل تقدير واحترام، وأن نمجّد أبناءها وبناتها، ونعاهد تلك الأرواح الطاهرة وهم أحياء عند ربهم يرزقون.

في 1988/3/13 أشرقت شمس حلبجة، وأصبحت عصية على الغروب.. شمس حلبجة في ذلك اليوم دون بقية الشموس أشرقت ولم تغرب إلى الأبد، وأن شعب حلبجة أبى إلا أن يبقى حياً، ويكون عصياً على الموت، فهو حي، وسيبقى في ضميرنا إلى الأبد؛ لذا يجب أن نفي لحلبجة ولكل المسارح اليوم التي تشبه حلبجة سواء كانت في اليمن وفي البحرين وفي مصر وفي ليبيا وفي كل منطقة من مناطق العالم؛ حتى نربط حاضر شعوبنا بتاريخ العالم.
إلى الآن تتألم الأمة الفرنسية لعذراء أورليان (جان دارك) التي أحرقها البريطانيون في عام 1429 بعد أن خانها أحد رجال الدين الفرنسيين.
الإنسان هو الإنسان في كل منطقة من مناطق العالم، ويجب أن لا نميز بين الشهداء، الشهداء هم الشهداء، والمصائب هي المصائب، وما يحصل اليوم في ساحة البحرين لا يبتعد كثيراً عما يحصل في بقية المناطق، ويجب أن ندلي بصوتنا لشهدائنا، ونوصل ذلك الركب الرائع، وننتصر لهم من خلال المآسي التي تمتد في أي منطقة من مناطق العالم..
تحية إكبار وتقدير واحترام لكل شهيد على مسرح حلبجة وعلى كل المسارح التي تمضي على طريق حلبجة.
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.